مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية
Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264
العدد 10 تموز 2025
No. 10 July 2025

آليات إنتاج الدلالة في الحذف والإضمار مقاربة تحليلية في ضوء التورية والكناية

م. د. حمادي خضر عبد الله
المديرية العامة لتربية نينوى
الإيميل: dr.hammadi88@gmail.com

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تحليل آليات إنتاج الدلالة في ظاهرتي الحذف والإضمار، من خلال مقاربة دلالية تحليلية تستند إلى مفهومي التورية والكناية. وتقوم فرضية البحث على أن الحذف والإضمار لا ينتجان فراغاً دلالياً، بل يسهمان في إثراء المعنى وتكثيفه عبر آليات تأويلية معقدة. وقد تناولت الدراسة نماذج من النصوص التراثية، مبيّنة كيف تُستثمر هاتان الظاهرتان لإنتاج معانٍ ضمنية تتجاوز المستوى السطحي للكلام. وانقسمت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث، نوقش فيها التفاعل بين المقاصد البلاغية والبُنى النحوية، وعلاقة ذلك كله بإنتاج الدلالة، ومسلطًا الضوء على الأبعاد الجمالية والتأويلية التي يتيحها غياب اللفظ وحضور المعنى. وتوصلتِ الدراسة إلى أن الحذف والإضمار يمثلان أدوات فعّالة في إنتاج التعدد الدلالي، لاسيما حين يرتبطان بأساليب بلاغية كالتورية والكناية التي توسّع أفق التلقي وتغني التجربة النصّية.

الكلمات المفتاحية: إنتاج، الدلالة، الحذف، الإضمار، التورية، الكناية

Mechanisms of Meaning Production in Ellipsis and Implication-An Analytical Approach in Light of Allusion and Metonymy

Lect. Dr. Hammadi khidher Abdullah
General Directorate of Education in Nineveh

Abstract

This research aims to analyze the mechanisms of semantic production in the phenomena of ellipsis and impliedness, using an analytical semantic approach based on the concepts of allusion and metonymy. The research hypothesis is that ellipsis and impliedness do not create a semantic vacuum, but rather contribute to enriching and intensifying meaning through complex interpretive mechanisms. The study examines examples of traditional texts, demonstrating how these two phenomena are exploited to produce implicit meanings that transcend the superficial level of speech The study is divided into an introduction and three chapters, discussing the interaction between rhetorical purposes and grammatical structures, as well as their relationship to the production of meaning. It also highlights the aesthetic and interpretive dimensions afforded by the absence of words and the presence of meaning. The study concludes that deletion and implication represent effective tools for producing semantic multiplicity. Especially when they are linked to rhetorical devices such as allusion and metonymy, which broaden the horizon of reception and enrich the textual experience.

Keywords: production, meaning, ellipsis, implication, allusion, metonymy

مقدمة

تُعَدّ الدلالة ركناً أصيلاً في كلّ نظام لغوي، فهي تُمثِّل بؤرة التفاعل اللغوي ومجاله التأويلي. وقد عنتِ الدراسات اللغوية والبلاغية منذ وقت مبكر بالسؤال عن كيفيّة انتقال المعنى من المستوى اللفظي الظاهر إلى المستوى الدلالي العميق، لا سيما حين يتجاوز المتكلِّم حدود التعبير المباشر إلى أساليب تقوم على التلميح والإيحاء والتأويل. وفي هذا السياق تظهر الدلالة غير المباشرة بوصفها آلية لسانية تُنتِج معنى لا يُقال صراحةً، بل يُفهم ضمنًا من خلال المقام والسياق. وتتداخل في إنتاج هذه الدلالة مجموعة من الوشائج اللغوية والبلاغية، من أبرزها الحذف والإضمار، وهما ظاهرتان نحويتان تلزمان المتلقي ببذل جهد في التأويل بغية الوصول إلى المعنى المحذوف أو المضمر، مما يتيح المجال لتعدد القراءات وتنوّع الفهم. ليس هذا فحسب، بل تزداد هذه الدلالة عمقاً وتعقيداً حين تتفاعل مع آليات بلاغية كـالتورية والكناية، اللتين تعتمدانِ أساساً على الإيحاء والترميز والإخفاء الجزئي للمعنى. وانطلاقًا من هذه الآليات في تعدد الدلالة، يسعى هذا البحث إلى دراسة كيفية إنتاج الدلالة غير المباشرة من خلال آليّتي الحذف والإضمار، وتحليل تجلياتها في سياقي التورية والكناية، بغية الكشف عن الأبعاد الدلالية والجمالية التي تفرزها هذه الوسائط في بنية الخطاب العربي. وفق الاعتماد على منهج بحثي يرتكز على التحليل الوصفي، ويُعنى باستقراء النصوص وتفكيك بنيتها النحوية والبلاغية، بهدف الوقوف على الأثر الذي تُحدثه آليّات الحذف والإضمار في تعزيز الدلالة، وتوجيهها صوبَ المعنى غير المباشر. كما يطرح البحث أسئلة رئيسة من قبيل: ما حدود العلاقة بين الحذف والإضمار بوصفهما ظاهرتين نحويتين والدلالة غير المباشرة؟ وكيف تسهم هذه العلاقة في صياغة التورية والكناية على المستوى البلاغي؟ بهذا، يأمل البحث أن يساعد على تعميق الفهم لآليات توليد المعنى في اللغة العربية، وأن يقدّم مقاربة جديدة تُظهِر العلاقة الفاعلة بين النحو والبلاغة في تشكيل وإنتاج الدلالة، وتعزيز الخطاب وإثرائه.

المبحث الأول: الفرق بين الحذف والإضمار

أولا: الحذف والإضمار بين اللغة والاصطلاح:

الحذف لغةً: القطعُ والإسقاط، جاء في اللسان: "حَذَفَ الشيء يحذِفُه حَذفاً: قطعه من طرفه"[1]، ويقول الجوهري: "حذفُ الشيء: إسقاطُه، يقال: حذفتُ من شعري ومن ذَنَبِ الدابة أي: أخذتُهُ"[2]، وفي الاصطلاح فالحذف كما حدَّه الزركشي: "إسقاط جزءٍ من الكلام أو كله لدليل"[3].

1) ابن منظور، مادة (حذف): 1/ 810.

2) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (حذف): 134/1.

3) البرهان في علوم القران: 102.

الإضمار في اللغة: مصدر للفعل (أضمر) بمعنى: أخفى، إذ تشير المعاجم العربية إلى أن الجذر (أضمر) يدل على معنى الإخفاء والغيبة والتستُّر[1] ، من ذلك قولهم: أضمر الأمر: أخفاه، وأضمر له الحقد: خبَّأه[2] ، وأضْمَرَتْهُ الأَرْضُ: غَيَّبَتْهُ إما بِسَفَرٍ أو بِمَوْتٍ[3] . والإضمَارُ في العَرُوضِ: إسكانُ الحرف الثاني، كالتاءِ من مُتَفَاعِلُنْ في الكامل، فيَصير مُتْفَاعِلُنْ، فينقل إلى مُسْتَفْعِلُنْ[4] . والضَّمِيرُ عند النُّحاةِ: ما دلَّ على متكلمٍ كأَنَا، أَو مخاطبٍ كأَنْتَ، أَو غائب كـــ(هُو) والجمع: ضمائِر[5] .

ثانياً: إشكالية التداخل بين الحذف والإضمار في التراث والمعاصرة

خلط بعض الدارسين القدامى والمحدثين بين الحذف والاضمار خلطاً ملحوظاً، حتى بات الحذف في مواضع من مقولاتهم إضماراً، والإضمار حذفاً، وكان أولى أن يُلتزم الحد النظري الفاصل بين الأمرين في مجال التطبيق. وتحقيق القول فيه أنَّ الحذف يتعلق بما لُفظ به ثم حُذف تخفيفاً، وقُطع منه، في حين إن الإضمار يمس ما لم ينطق به ثم حُذف، لكنه مضمر في النية مخفي في الخلد، وقد أشار السهيلي في بيان وجه الفرق بينهما إلى أن الاضمار هو الاخفاء والحذف هو القطع من الشيء، فهذا فرق ما بينهما، وهو واضح لا خفاء فيه ولا غبار عليه[6] . إلا أن هذا التفريق النظري يكاد يختفي ويغفل عنه النحويون في اثناء معالجة مسائل النحو، وربما أحس ابن مضاء القرطبي بهذا الخلط الذي وقع فيه الرعيل الأول، والمتأخرون على السواء، ومن أمثلته تعبير سيبويه عن المحذوف بالمضمر ويكون المبني عليه مظهراً، وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربي، كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله، أو سمعت صوتاً فعرفتَ صاحب الصوت فصار آيةً لك على معرفته فقلت: زيدٌ وربي"[7]. وفي تراثنا النحوي من يفرّق يفرّق بين هذين المصطلحين كـ(الزركشي) الذي يقول: "والفرق بينه _أي: الحذف_ وبين الإضمار: أن شرط المضمر بقاء أثر المُقدَّر في اللفظ؛ نحو: ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[8]، ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ ﴾[9]، ﴿ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾[10]؛ أي: ائتوا أمرًا خيرًا لكم، وهذا لا يُشترَط في الحذف؛ ويدل على أنه لا بد في الإضمار من ملاحظة المقدَّر (باب الاشتقاق)، فإنه من أضمرت الشيء: أخفيته ... وأما الحذف: فمن حذفت الشيء: قطعته، وهو يُشعِر بالطرح، بخلاف الإضمار؛ ولهذا قالوا: (أنْ) تنصب ظاهرة ومقدرة، وردَّ ابن ميمون قول النحاة: إن الفاعل يُحذف في باب المصدر، وقال: الصواب أن يقال: يُضمَر ولا

---

1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس: 290/3.

2) العين، الخليل بن احمد الفراهيدي: 101/2.

3) القاموس المحيط، الفيروز آبادي: 551/1.

4) التعريفات، الجرجاني: 46، وينظر: المعجم الوسيط: 543.

5) المعجم الوسيط: 544.

6) نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي: 165.

7) الكتاب، سيبويه: 130/2.

8) سورة الإنسان: الآية: 31.

9) سورة الفتح: الآية: 6.

10) سورة النساء: الآية: 171.

يُحذَف؛ لأنه عمدة في الكلام"[1]. وقال ابن جني في (خاطرياته): "من اتصال الفاعل بالفعل أنك تُضمِره في لفظ إذا عرفتَه؛ نحو: (قم)، ولا تحذفه كحذف المبتدأ؛ ولهذا لم يجُزْ عندنا ما ذهب إليه الكسائي في (ضربني وضربتُ قومك)"[2]. والمتأمل لتعليل ابن جني بعدم حذف الفاعل للاتصال بين الفعل والفاعل وأنهما مرتبطان، وبينهما علاقة إسنادية؛ لذلك فإنه لا يحذف لأنه عمدة - يعجب؛ لأنه في الوقت نفسه يقر بحذف المبتدأ مع أنه عمدة في الجملة الاسمية، وبينه وبين الخبر علاقة إسنادية، دون أن يذكر لنا ابن جني السبب وراء هذه التفرقة. ومن الذين ذهبوا إلى التفريق بين الحذف والإضمار أبو البقاء العكبري حينما تعرض للحديث عن قوله تعالى: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾[3]؛ قال: "فأما (حين) فمذهب سيبويه أنه خبر (لات)، واسمها محذوف؛ لأنها عملت عمل (ليس)؛ أي: ليس الحين حين هرب، ولا يُقال: هو مضمر؛ لأن الحروف لا يضمر فيها، وقال الأخفش: هي - أي: لات - العاملة في باب النفي فـ(حين) اسمها، وخبرها محذوف؛ أي: لا حين مناص لهم أو حينهم، ومنهم من يرفع ما بعدها، ويقدر الخبر المنصوب؛ كما قال بعضهم: (فأنا ابن قيس لا براحُ)"[4] . غير أننا نجد كثيرًا من كتب التراث النحوي قد ساوت بين مصطلحي الحذف والإضمار، ولم تفرق بينهما، حتى إنك لتجد اللفظين يتبادلان في القضية الواحدة والموضوع الواحد في بعض الأوقات؛ فهذا أبو حيان حينما يتعرض لقوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾[5]، يجعل (ضربًا) منصوبًا بفعل محذوف، يقول: "فهو - أي: ضربًا - مصدر فعل محذوف"[6]، وحين يتعرض لقوله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[7]، يذكر خمسة أوجه في نصب (رسولًا) منها أن يكون منصوبًا بفعل مضمر والتقدير: ويجعله رسولًا، أو إضمار فعل من (أرسل) والتقدير: أُرسلتُ إلى الناس رسولًا[8]، وكذلك حين يتعرض لقوله تعالى: ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[9]، يجعل الجار والمجرور ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ متعلقًا بفعل مضمر؛ مضمر؛ إذ يقول: "والأجود أن يتعلق قوله:﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بمضمر يدل عليه ما قبله"[10]. بل إن أبا حيان أحيانًا يستخدم مصطلح الحذف والإضمار في موضع واحد، وذلك خلال حديثه عن قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[11]؛ يقول: "و﴿ أَنْ لَوْ يَشَاءُ ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: وأقسموا لو شاء الله لهدى

---

1) البرهان في علوم القران: 102/3.

2) الخاطريات، ابن جني: 113/2.

3) سورة ص: الآية: 3.

4) التبيان في إعراب القران، أبو البقاء العكبري: 209/2.

5) سورة الصافات: الآية 93.

6) تفسير البحر المحيط: 219/1.

7) سورة آل عمران: الآية: 49.

8) تفسير البحر المحيط: 352/2.

9) سورة النحل: الآية: 44.

10) تفسير البحر المحيط: 403/5.

11) سورة الرعد: الآية: 31.

الناس جميعًا، ويدل على إضمار هذا القسم وجود (أنْ) مع (لو)؛ كقول الشاعر[1]:

أما واللهِ أَنْ لَوْ كُنْتَ حُرًّا وما بِالحُرِّ أَنْتَ ولا العتيقُ

أما ابن مالك فقد استخدم أيضًا مصطلحي الحذف والإضمار بمعنًى واحد دون تفريق بينهما؛ فتراه يقول في ألفيته في باب (الابتداء) متحدثًا عن حذف الخبر وجوبًا:

وقَبْلَ حالٍ لا يكونُ خَبَرا كَضَرْبِي العَبْدَ مُسِيْئًا، وَأَتَمّ
عنِ الذي خَبَرُهُ قَدْ أُضْمِرَا تبييني الحقَّ مَنُوْطًا بالحِكَمْ

ويقول أيضًا في باب (اشتغال العامل عن المعمول)[2]:

فالسَّابِقُ انصبه بفعلٍ أُضْمِرَا حَتْمًا مُوافِقِ لِمَا قَدْ أُظْهِرَا

وأحيانًا أُخر يعبر عن المحذوف بلفظ (الساقط) أو (السقوط)؛ كما في باب (لا النافية للجنس) يقول[3]

وشاعَ في ذا البابِ إسْقاطُ الخبَرْ إذا المرادُ معَ سقوطِهِ ظَهَرْ

وفي باب (الأفعال التي تنصب مفعولين) يقول[4]:

ولا تُجِزْ هُنا بلا دليْلٍ سُقُوطَ مَفْعُولَيْنِ أَوْ مَفْعُولِ

ومن هنا فالحذف والإضمار والسقوط جاءت جميعها بمعنًى واحد عند ابن مالك. كما أن من بين الباحثين المعاصرين من ذهب إلى أنه لا فرق بين الحذف والإضمار؛ كالأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو)؛ إذ يرى أن الإضمار لا يختلف عن الحذف؛ لأن كلًّا منهما فيه تقدير ما لا وجود له في ظاهر النص اللغوي[5]، وإلى هذا الرأي أيضًا ذهب الدكتور محمد إبراهيم الطاوس، وجعله أقرب للحقيقة والصواب، مستشهدًا بما جاء في حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي؛ حيث جاء فيه قوله: "قول مضمر؛ أي: محذوف"، كما يستشهد الدكتور الطاوس بموضع آخر في حاشية (الشهاب) ذكر فيه "أن الحذف أعم من الإضمار، وقد يُستعمل كلٌّ منهما بمعنى الآخر"[6].

نخلص من ذلك أن كثيراً من العلماء لم يلتزموا التزاماً صارماً في التفريق بين المصطلحين كما ذهب إليه بعضهم، فكثيرًا ما يُعبَّر بأحد المصطلحين مكان الآخر، وهذا ما يميل إليه الباحث؛ نظرًا لما تؤكده شواهد تراثنا النحوي، كما أن التعبير بأحد المصطلحين عن الآخر هو مجاز يدل عليه ثراء لغتنا وغناها، وسعتها وقوة بيانها وعظمتها.

ثالثاً: دواعي الحذف والإضمار

لا شك أن للغة العربية خصائصها الجمالية المتميزة، ومن أبرز هذه الخصائص أسلوب الحذف والإضمار، الذي يُعدّ من الظواهر اللغوية المهمة والشائعة. وعند تناول ظاهرة الإضمار والأنساق المضمرة في الجملة العربية، لا يمكن إغفال مصطلح ملازم لها ومقابل في الوقت نفسه، وهو (الإظهار) إذ إنّ المفاهيم غالبًا ما

---

1) البيت في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي: 89/10.

2) ألفية ابن مالك: 211/2.

3) المصدر نفسه: 133/1.

4) المصدر نفسه: 54/3.

5) ينظر: إحياء النحو: 167.

6) إحياء النحو: 86.

تتضح من خلال أضدادها، كما يُقال. ويُعدّ كل من الإضمار والإظهار وسيلتين متلازمتين لا غنى عنهما في بنية الخطاب، فهما متداخلان وإنْ اختلفتْ مظاهرهما ووظائفهما. فالخطاب بطبيعته يتضمن أبعادًا ظاهرة وأخرى باطنة، وتتنوع مقاصد المتكلّم بين ما هو مُعلَن وما هو كامن ومضمر في الذهن. ومن خلال تحليل الخطاب يتضح أنه يُخفي في طياته مفاهيم كلية، ومسلّمات راسخة، كما يتغاضى عن سلطته التي يسعى إلى ممارستها، ويتجاهل الأهداف التي ينشد تحقيقها. والمتكلم، بدوره، ينزع إلى الاقتصاد في التعبير، فيلجأ إلى الحذف والإضمار، ويخفي مقاصده باستخدام الكناية أو الغموض. ويُعدّ الإضمار ظاهرة لغوية معقدة تتعدد دلالاتها وتجلياتها بحسب السياقات التي ترد فيها، فقد يتخذ شكل الحذف، أو الكناية، أو التورية، أو حتى الصمت والتهميش. ويتطلب هذا التركيب المعقّد دراسة هذه الظاهرة ضمن سياقاتها المختلفة، وتحليل أنماطها وآلياتها وتفسيراتها، والكشف عن الدوافع الكامنة وراء استخدامها، واستنباط دلالاتها ومقاصدها. أما في مستوى النحو، فإن التقدير النحوي يُعدّ من القضايا الجوهرية التي أولاها النحاة اهتمامًا بالغًا، حتى أصبح من المسلّم به أن التقدير هو عصب الدرس النحوي. وقد تنافس النحويون في التعمق فيه، فكان أكثرهم تمكّنًا من استنباط مواضع التقدير وأقدرهم على تحديدها هو الأعلى كعباً في علوم اللغة، بل إنّ الحاجة إلى جهود النحويين ما كانت لتظهر لولا هذا البُعد التقديري في النحو العربي ولَتيسَّر على الناس فقه اللغة دون اتكال على صنيع أولئك حتى قيل: "لو التقدير لفهمت النحو الحمير"[1]، وهي عبارة تشف عن قيمة هذه الظاهرة التي اعتنى بها النحاة، فهم يلجؤون إليها كلما دعت الضرورة لاستكمال المعنى، أو تصحيح إعراب. وقد قادهم الاهتمام بهذه الظاهرة الى وضع ضوابط لها، وتقييدها بأشراط نظرية "كي لا يُساء إليها أثناء التطبيق، وكي لا يكون التقدير عبثا بلا داع. والحقيقة أن الالتزام بهذه الضوابط والشروط نسبي حين الاشتغال بالنحو، فلا يتقيد بعض النحاة بها إلا قليلا"[2].

المبحث الثاني: مظاهر إنتاج الدلالة في التورية

أولاً: مفهوم التورية وعلاقتها بالدلالة

جاء في اللسان (ورى): "وريّت الشيء وواريته: أخفيته. وتوارى: استتر. ووريت الخبر: جعلته ورائي وسترته. ووريت الخبر أوريّه تورية: إذا سترته وأظهرت غيره... والتّورية: السّتر[3]". أما التورية في الاصطلاح فقد عرَّفها الخطيب التبريزي بقوله: "وهي أن يطلق لفظ له معنيان: قريب، وبعيد، ويراد به البعيد منهما"[4]. فالتورية وفقاً لهذا دالّ واحد له مدلولان: الأول مدلول قريب لا يلائم المقام لذلك فهو ملغى ومستبعد. والثاني بعيد يلائم المقام مقبول ومعتمد.

---

1) البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان:203.

2) تقدير الحذف والاضمار في ضوء نظرية العامل النحوي، ملاوي صلاح الدين: 312.

3) لسان العرب، ابن منظور: 386/15.

4) تهذيب اصلاح المنطق: 149/2.

وينبغي أن نشير إلى أنَّ ثمة مصطلح آخر يُطلق على ظاهرة التورية؛ ليصف ما يحدث للمخاطَب، فمن جهة المتلقي تُسمَّى التورية إيهامًا[1] ؛ لأنه يتوهم أن المتكلم يريد المعنى القريب للفظ، مع أنه غير مراد، وإنما يريد المتكلمُ المعنى البعيد، ولأجل هذا سُميت التورية إيهامًا، ومثل ذلك قول أبي العلاء المعري[2] :

وحَرَف كنونِ تحتَ راءٍ ولم يَكُنْ بدالٍ يؤمُّ الرّسْمَ غَيِّرَهُ النَقْطُ

فإن من يقرأ البيت يظن للوهلة الأولى أن أبا العلاء يريد بالنون والراء والدال حروف الهجاء، وخاصة أنه أتبع ذلك بذكر رسم هذه الحروف وتنقيطها، وهذا هو المعنى القريب، والمراد غيره، وهو المعنى البعيد المُورَّى عنه بالقريب؛ لأن المراد بالحرف الناقة التي تشبه النون في ضمورها، وبراء ضارب الرئة، وبدال المُعتدل في السير، وبالرسم أثر الدار، وبالنقط المطر، ومعنى هذا البيت أن هذه الناقة لضعفها وانحنائها مثل نون تحت رجل يضرب رئتيها، ولم يرفق بها في السير[3] .

ويمكن القول إن أهم منجزات البلاغة المصطلحية هو مصطلح (التورية) غير أن هذا المصطلح حسب ما يراه الغذامي[4] يعاني من مثل ما تعاني منه المنظومة المصطلحية البلاغية بحيث انها تعنى بالظواهر التعبيرية المقصودة فعلياً في صناعة الخطاب وفي تأويله. وفي النقد الثقافي لم نعد معنيين بما هو في الوعي اللغوي، وإنما معنيون بالمضمرات النسقية، لذا لابد من منظومة مصطلحية جديدة نستطيع من خلال أدواتها الإجرائية الولوج الى البنية العميقة للنص وعدم الاكتفاء بالبنية السطحية فقط للكشف عن الدلالة المضمرة في الخطاب ما هو ظاهر منها وعلني، وما هو مضاد وناقض للعلن[5] . وظلت التورية من المصطلحات البلاغية الساكنة والخاملة في كتب التراث البلاغي نتيجة لمفهومها الذي يصطف مع جمود المصطلحات البلاغية، هذ المؤشر دعا بعض النقاد الى القول بموت مقولات البلاغة العربية في تحليل الظواهر الأدبية والإبداعية، "ونتيجة ذلك اتجهت الأسلوبية بآلياتها الجديدة نحو فحص النصوص الأدبية خالعة ثوب البلاغة ومتجاوزة إياها على النحو الذي تبشر فيه بحيوية المعالجة، كما تقدم بعد ذلك النقد الثقافي في تجاوز الأسلوبية نتيجة عدم معياريتها أولا واهتمامها ببعض المصطلحات البلاغية ثانيا، ولعل مصطلح التورية من المصطلحات التي استثمرت في مضمار النقد الثقافي على الرغم من اختلاف وجهات النظر في مفهومها ما بين البلاغة العربية والنقد الثقافي"[6].

يتضح مما سبق أن التورية تقوم على جدلية الخفاء والتجلي، وأن قرب المعنى يأتي من كثرة استعمال اللفظ في معنى معين، وأن بعد المعنى إنما يكون نتيجة لقلة استعمال اللفظ في المعنى الآخر، ومن ثم يُشتَرط في اللفظ الذي يصلح للتورية أن يكون مشتركًا بين معنيين على الأقل، ويغلب استعماله في أحدهما، بحيث يصير

---

1) ينظر: مفتاح العلوم: 427.

2) ديوان أبي العلاء المعري: 107.

3) ينظر: خزانة ألأدب وغاية الأرب، ابن حجة الأموي: 39/2.

4) ينظر: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي: 66.

5) ينظر: المصدر نفسه: 189.

6) الإبداع والضغط الايديولوجي لعبة التورية في تشكيل النص، د. اثير محمد شهاب، مجلة حروف: 313.

الذهن يتبادر إليه دون الآخر[1]، فلا بد في التورية من تباين المعنيين في القرب والبعد، فينبغي يكون أحدهما أقرب إلى الفهم من الآخر، فإن كان المعنيان متساويين فلا تورية، ما لم تدل قرينة على أن المراد باللفظ هو المعنى البعيد.

ومن البديهي أن معيار التكرار أو الندرة في الاستعمال يعد الركيزة الأساسية في التورية، إذ إن المتكلم يستند إليه في إيصال المعنى المراد إلى المتلقي، وتكون إرادته في التورية على خلاف المعهود فلا يقف عند الاستعمال المشهور والشائع بل النادر، ومن ثم يكون الاستعمال هو العامل المرجِّح للتورية، وهو المحدِّد في الوقت نفسه لمعنى الكلمة عند علماء الدلالة، إن معنى الكلمة هو مجموع استعمالاتها[2] .

وفي مصطلح التورية نجد الازدواج الأساسي بين بعدين دلاليين أحدهما قريب والآخر بعيد، وهذا منطلق مهم جداً للنقد الثقافي غير أن الخلل يأتي من أن المفهوم التقليدي للتورية يشير صراحة الى أن المقصود هو المعنى البعيد[3] . هذا يعني أن المفهوم التقليدي للتورية يخضع العملية للقصد أي للوعي ويحولها بالتالي إلى لعبة جمالية مما يحصر الفعل النقدي فيما هو في مجال الوعي، ونقل التورية من وظيفتها البلاغية المباشرة الى وظيفتها الثقافية يحرر المصطلح من قيوده الضيقة، والتورية تقوم على الازدواج الذي بواسطته يمن تأسيس تصوراتنا عن حركة الأنساق الثقافية في بعديها المعلن والمضمر. لذا فإن استعارة مصطلح التورية ونقله من علم البلاغة الى حقل (النقد الثقافي) يستلزم توسيع المفهوم ليدل دلالة كلية لا تنحصر في معنيين قريب وبعيد مع قصد البعيد، وإنما ليدل على حال الخطاب إذ ينطوي على بعيد أحدهما مضمر ولا شعوري وليس في وعي المؤلف ولا في وعي القارئ، ومن هنا يمكن القول إن التورية بمعناها الثقافي هي حدوث ازدواج دلالي أحد طرفيه عميق ومضمر يتواجد في البنية العميق للخطاب وهو أكثر فاعلية وتأثيرا من ذلك الواعي[4] .

كما إنَّ التورية تستعمل الثروةَ اللغويةَ الهائلة التي تتميز بها اللغة العربية فتستمد ألفاظها من مَعين (المشترك اللفظي)، فهي تنتخب من اللغة المفرداتِ الصالحةَ لاحتمال معنيين مختلفين، أي ما يخص الشطر الأول من الدرس اللغوي، وهو دلالة الكلمات، وقد أدت كثرة المشترك اللفظي في العربية إلى ذيوع ظاهرة التورية فيها، وهي في حقيقتها استعمال الألفاظ المشتركة في معان غير متبادرة منها[5] .

ويكمن سر جمال الدلالة في التورية في القدرة على التلطف والخفاء ووصل منتج الخطاب في ذلك الى غايته كما ان استعمالها يحدث حركة ذهنية بارعة من انتقال الذهن من المعنى القريب الى المعنى البعيد ويتحقق جمال التورية إذا كانت استجابة لموقف يستلمها او كانت غير متكلفة ولم تكن مجرد لعب بالألفاظ دون فائدة في أداء الفكرة والتعبير عن المشاعر[6] . وان المتلقي قد يواجه بعض الصعوبات وهو يحاول أن يرصد النسق المضمر، ويستخرجه، ما لم يلجأ الى مجموعة من الكفاءات الألسنية المتعلقة بالنظام اللغوي والكفاءة

---

1) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي: 243/2.

2) علم الدلالة، كلودجرمان، ريمون لوبلون: 44.

3) ينظر: النقد الثقافي: 70.

4) النسق المضمر والسياق الشعري: 19.

5) ينظر: فصول في فقه اللغة العربية، د. رمضان عبد التواب: 335.

6) الخطاب الإعلامي وتكتيك استعمال مفارقة التورية، أكرم فرج الربيعي: 7.

الموسوعية المتعلقة بالسياق الخارج عن الكلام والكفاءة البلاغية التداولية التواصلية أي: قوانين الخطاب والكفاءة الطبيعية أي المنطق الطبيعي وهذه الكفاءات التي يعتمدها (سيرل)، ضرورية لفك ترميز الأنساق الثقافية المضمرة ولهذا يتطلب النسق الثقافي المضمر نوعاً خاصاً من القراءة، وهذه القراءة يمكن أن نسميها بالثقافة القرائية، ويكون لاحتمالات وعي القارئ بالثقافة وامتدادها داخل النص الأدبي دوراً مهما في تأويل المعنى، لأن هذا الوعي الثقافي للقارئ كما يرى الدكتور عبد الفتاح احمد يوسف هو الذي يمكننا من تأويل العلاقة بين دور العنصر داخل الثقافة ووظيفته داخل النص الأدبي يجعله يحمل دلالتين مزدوجتين دلالته داخل الثقافة ودلالته داخل النص الأدبي[1].

بناءً على ذلك يمكننا القول إن التورية تُظهِرُ تفاعلاً معقدًا بين البنية اللغوية والمستوى الدلالي للنص، حيث يتجاوز المعنى حدود التركيب السطحي ليُبنى على خلفية معرفية وثقافية تشترك بين المتكلم والمتلقي. ويُمكن النظر إلى التورية بوصفها آلية لتوسيع الإمكانات الدلالية للنص، إذ تتيح إنتاج المعنى عبر طبقات متداخلة، تُسهم في إثراء التلقي وإثارة التأويل. ومن هذا المنطلق، تُشكّل التورية حقلًا خصبًا لتحليل العلاقة بين الشكل اللغوي والمعنى العميق، وتكشف عن التوتر الإيجابي بين المقصود والمُصرّح به في الخطاب.

ثانياً: نماذج من إنتاج الدلالة من الأنساق المضمرة للتورية في نصوص من التراث العربي:

إن كل خطاب مضمر يحمل دلالة تساق لإفادة معنى معين، إلا أن هذه الدلالة المضمرة يمكن إدراكها انطلاقا من معلومة متصورة وتحويلها الى معلومة واقعية، غير أنه في هذا الضرب من البنيات الإضمارية المخادعة يراد بالمتلقي أن يلتقط طعم قصد زائف حتى يتحقق القصد الحقيقي للمتكلم. وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي بها تورية، فضلاً عن حديث النبي محمد (ﷺ) عن حاجة المسلم للتورية، لاستخدامها إنْ كان لديه مبرر، فقال (ﷺ): "إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب"[2].

❖ جاء في الأثر أن النبي (ﷺ) أقبل إلى المدينة وهو مُردِفٌ أبا بكر، وأبو بكر شيخٌ يُعرَفُ، ونبيُ الله شابٌ لا يُعرَفُ، قال: فيلقى الرجل أبا بكر، فيقول: يا أبا بكر، من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل، قال: فيظن السائل أنه إنما يعني الطريق؛ وإنما يعني سبيل الخير[3]، فالنسق المضمر هنا (التورية) يكمن في لفظ السبيل فالمعنى القريب هو الطريق ولكن المعنى البعيد هو الخير الذي يقصده رسول الله (عليه الصلاة والسلام) وقد لجأ إلى الخطاب المضمر خوفاً على النبي وعلى نفسه، وفي الوقت نفسه نأى بنفسه عن الكذب، فهي استراتيجية تلميحية يُلجأ إليها في سياقات التمويه والتغفيل وغيرها من السياقات التداولية التي يراد منها صرف المرسل اليه عن فهم المقصود الحقيقي من الرسالة، فإن الكذب تجلٍّ والصدق تجلٍّ، وهما معاً من القيم التي تدور مع القصد، فالكذب لا يعد كذلك اذا كان صاحبه لا يعتقده، بل يدفعه إليه رعاية مصلحة أكبر ودرء مفسدة تقع على النفس أو الآخرين ممن يقعون تحت مسؤولية الانسان[4]. ويندرج في هذا الباب أيضاً ما حدث مع الرسول (عليه الصلاة والسلام) وصاحبه قام بنفسه بعملية الاستكشاف مع رفيقه في الغار أبي بكر الصديق وبينما هما يتجولان في معسكر مكة إذ هما بشيخ من العرب، فسأله رسول الله

---

1) النسق المضمر والسياق الشعري: 29.

2) الأدب المفرد، البخاري: 196/1.

3) صحيح البخاري، الامام البخاري: 62/5.

4) الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، ادريس مقبول: 553.

(ﷺ) عن قريش وعن محمد وأصحابه، سأل عن الجيشين زيادة في التكتم، ولكن الشيخ قال لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما فقال له لرسول الله (ﷺ): إذا أخبرتنا أخبرناك، قال: أو ذاك بذاك؟، قال: نعم، فقال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به جيش المدينة)، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، (للمكان الذي به جيش مكة)، ولما فرغ من خبره قال: من أنتما؟ فأجابه النبي (ﷺ): نحن من ماء[1] . وهنا يمكن أن نستنبط أن الكلام يفهم أكثر من معنى ويراد بالمخاطب أن يستصحب المعنى السطحي القريب والزائف وينشغل عن الانتباه للقصد المتواري خلف التركيب الاضماري[2]، فهي بنيات تلفظية تتوارى فيها المقاصد الحقيقية لإنتاج الدلالة وتحقيق مصلحة اجتماعية تواصلية كما هو الشأن في الإصلاح بين الناس، أو مصلحة دفاعية مع من يناصبونك العداء والخصومة، ومصلحة زوجية وأسرية في حال الكذب على الزوجة تقرباً وتحبباً، فيكون في اتساع اللغة ملجأ ومنجى من التصريح، يطبع هذا النوع من الاضمار إرادة التعمية عن عمد، وهو إضمار مسبق يكون بإخفاء أوليات التصريح والبيان لتمويه القصد الحقيقي، وإبراز قصد زائف الى السطح[3].

❖ قال البحتري :[4]

وَوَراءَ تَسدِيَةِ الوشاحِ مَلِيَّةٌ بالحُسنِ تَملُحُ في القُلوبِ وَتَعذُبُ

إنَّ البؤرة الدلالية للتورية تكمن في كلمة (تَمْلُحُ) في هذا البيت، إذ إن الفعل يشير إلى معنيين: المعنى القريب هو المُلوحة، وقد ورَّى الشاعر عنه بقوله (تَعذُبُ)، وهو بلا شك معنى لا يتناسب مع سياق الوصف والغزل في هذا المقام، ومن ثَمَّ يدرك المتلقي عن طريق الاستنتاج والاستدلال إلى معنى آخر بعيد، هو الملاحة، أي الوسامة والظرافة، وهذا هو المعنى المراد وإنْ كان بعيداً غير ظاهرٍ، إلا إنَّ الشاعر ذكر ما يعزز هذه الدلالة بقوله: (ملية بالحسن): أي: كثيرة الحسن.

فالتورية _ وفقاً لما ذُكر_ لفظٌ مشترك في دلالته، إذ يستعمل المتكلم اللفظ بالمعنى الأول، ففي المثال السابق يستعمل الشاعر كلمة (تملح) بمعنى الملوحة، وهو يريد المعنى الثاني، وهو الملاحة والحلاوة، وعلى السامع من خلال السياق أن يتوصل للمعنى الذي أراده المتكلم، فهي لفظ يستلزم معنيين، ويستدل المخاطب من خلال السياق على أن المعنى المراد هو الثاني، وليس الأول.

نستنتج من ذلك إن للتورية وظيفة جمالية، تستلزم من المتلقي أن يمرَّ بسلسلة من الدلالات لتفكيك بنية الخطاب والوصول إلى المعنى المطلوب. إذ لا ينبغي أن يكون الغرض من التورية التلاعب بالألفاظ، واستعراض القدرات الذهنية، كما قد يستعملها بعضهم في غير موضعها؛ فهي أسلوب غير مباشر له أغراض بلاغية ودلالية تتوافق مع المقام المحيط بالمتخاطبين، كما إنها تحفز ذهن المتلقي للغوص بحثاً عن المعاني

---

1) السيرة النبوة، ابن هشام: 252/2.

2) ينظر: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي: 165.

3) الاستراتيجيات التخاطبية: 554.

4) ديوان البحتري: 72/2.

البعيدة؛ مما يؤدي إلى إعمال الفكر في الأساليب المختلفة للوصول إلى الدلالة المناسبة للسياق، وهو ما يتفق مع النظريات اللغوية الحديثة لا سيما النظرية التداولية.

المبحث الثالث: مظاهر إنتاج الدلالة في الكناية

أولاً: مفهوم الكناية وعلاقتها بالدلالة

الكناية لغة: ما يتكلم به الإنسان، ويريد به غيره، وهي مصدر كنيت، أو كنوت بكذا، إذا تركت التصريح به [1]. أما في الاصطلاح فقد عرَّفها البلاغيون بأنها لفظ أُريد به غير معناه الذي وُضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته، نحو: (زيد طويل النجاد) تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها بشيء تترتب عليه وتلزمه؛ لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، فإذًا المراد طول قامته، وإن لم يكن له نجاد، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقي. ومن هنا يُعلم أن الفرق بين الكناية والمجاز صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية دون المجاز، فإنه ينافي ذلك[2] . وتُعدّ الكناية من الأساليب البيانية والمهيمنات الأسلوبية التي يلجأ إليها الأديب لرسم صوره وتأدية معانيه، إذ يقوم بعملية تركيب لغوي ينتقل خلالها المعنى إلى أحد لوازمه، وما يترتب عليه فيذكره عن طريق العدول عن إفادة المعنى المراد مباشرة إلى إفادته عن طريق لازم من لوازمه، لذا فالكناية ــ من منظور البلاغيين ــ هي: "أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيُومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه"[3]. وبنية الكناية بنية محايدة بين الحقيقة والمجاز؛ لأنّ المعنيين الحقيقي والمجازي مطروحان في السياق، وقابلان للقصدية، سواء أكانت علاقة اللزوم هنا (عرفية) أم (عقلية)[4] . فالكناية دالّ على مدلولين مختلفين: مدلول حقيقي، ومدلول مجازي وكلا المدلولين مرادان، فالنصّ هو الدال، والمعنى الدلالي هو مدلول النصّ، وهذا لا يعني أن الدال يختلف عن المدلول في الكناية، فالدال يحمل معنيين أحدهما قريب والآخر بعيد، والمعنى البعيد هو المقصود في نفس المتكلّم، وبالتالي فالصورة الكنائية تقوم على الدلالة المباشرة الحقيقية التي يصل المتلقي من خلالها إلى (معنى المعنى)، عبر" استقصاء الجزئيات الدلالية التي ترشح عن البناء الكنائي، وعدم الاكتفاء بالمعنى المجرد الذي يختفي وراء البناء اللفظي"[5]. ومن هنا يمكن إدراك الطبيعة الانزياحية للكناية؛ إنها عدول عن إفادة المعنى المراد مباشرة، إلى إفادته عن طريق لازم من لوازمه، وينبغي على المتلقي أن يقوم بحركة عكسية ينتقل خلالها من المعنى الحرفي (المذكور) إلى المعنى المراد (المتروك)، وهذا ما ذهب إليه السكاكي (ت626هـ) في تعريفه للكناية، إذ قال: "هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك"[6].

---

1) ينظر: لسان العرب مادة (كنى): 221/14.

2) مفتاح العلوم، السكاكي: 176/1.

3) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: 66.

4) ينظر: البنيات الأسلوبية للكناية في شعر البهاء زهير (بحث)، علي كاظم علي: 62.

5) البنى الأسلوبية في النص الشعري دراسة تطبيقية، د. راشد بن حمد بن هاشل الحسيني: 326.

6) مفتاح العلوم: 512.

ثانياً: مظاهر إنتاج الدلالة في الكناية

❖ أورد أبو منصور الثعالبي في رسائله قول الشاعر[1]:

بيضُ المطابخِ لا تشكو إماؤُهمُ طبخَ القدورِ ولا غسلَ المناديلِ

المعنى الظاهري للبيت: المطبخ أبيض، أي نظيف لا يُستخدم. والإماء لا يتعبن في الطبخ أو الغسيل. الكناية هنا ليست عن الترف، بل عن قلة الطبخ وقلة الاستعمال، وبالتالي عن البُخل: **(بيض المطابخ)** كناية عن قلّة الطبخ أو انعدامه، وليس عن نظافة سببها وجود خدم. فاللون الأبيض هنا يدل على خلوّ المواقد من النار، والأواني من الاستعمال، فتبقى المطابخ على حالها دون تغيير أو اتساخ، ما يعني أن الطعام نادر أو معدوم. وهذا يشي ببُخل أصحاب البيت، لا بثرائهم. **(لا تشكو إماؤهم طبخ القدور)** ليس لأن هناك من يخدمهن، بل لأن القدور لا تُستعمل أصلاً، فلا يُطبخ طعام، فلا تعب. الكناية تنتج دلالة على أن الطعام لا يُعدّ، وبالتالي لا يُقدَّم للضيف ولا حتى لأهل البيت، وهذا جوهر البُخل. **(ولا غسل المناديل)** كناية عن أن لا أحد يستخدم المناديل، أي لا ولائم، لا أضياف، لا طعام، فلا حاجة لتنظيف أي شيء. وهذا تعميق لصورة انعدام الكرم، وامتناع أهل البيت عن استضافة أحد أو الإنفاق على المأكل.

ومن هنا فإن فن الكناية يعمل هنا على عكس التوقع، إذ إنَّ السياق الظاهري يوهم القارئ أولًا بالترف والنظافة. لكن التراكيب تكشف لاحقًا فجوة بين المظهر والمعنى: فالنظافة هنا ناتجة عن الجمود والبُخل لا عن الرفاهية. ولا بد هنا من التنويه على أهمية البُعد الاجتماعي والدلالي للكناية، فالكرم في المجتمعات العربية من أبرز قيم الفخر، لذلك يُستخدم الحديث عن المطابخ والقدور والمناديل باعتبارها رموزًا للكرم. والحديث عن بياضها وسكونها، يُصبح بطريق الكناية وصفًا للبخل.

بناء على ما تقدم نلحظ أهمية الكناية ودورها في إنتاج الدلالة فالبيت أعلاه يصوّر بُخل أهل الدار بأسلوب غير مباشر عبر كناية دقيقة تعتمد على بياض المطابخ وسكونها. والمعنى لا يُصرَّح به، بل يُستنبط من غياب الحركة والوظيفة الأساسية للمطبخ والخدم، مما يجعل الكناية أداة فعّالة لتوليد دلالة سلبية اجتماعيًا (البُخل)، من خلال ألفاظ قد تُوهم في البداية خلاف المعنى المقصود (النظافة، الراحة). وبهذا الأسلوب، تُظهر الكناية قوتها في التلميح بدلاً من التصريح، وفي خلق صورة دلالية معقدة تشحن النص بمعانٍ تتجاوز سطح اللفظ إلى عمق القيم والسلوك.

ثالثاً: دواعي الكناية وأثرها في تشكيل الدلالة

1. الرغبة في إنشاء عالم خاص وحمايته: (مطالع الغزل، كنايات الصوفية). إذ من طبيعة الإنسان أن يمتلك مجالاً خاصاً به، لا يسمح لغيره بدخوله، ومن جهة أخرى فهو إنسان اجتماعي مجبول على إشراك غيره في همومه وأحلامه، وعليه فهو يلجأ إلى التعريض (الاضمار) ليحافظ على عذرية ميدانه، وفي الوقت نفسه يخفف عن قلبه ثقل الهم أو الأمل. قالت أم البنين لعزة صاحبه كثيّر، أخبريني عن قول كُثَيِّر[2]:

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفَّى غريمَهُ وعزةُ مَمطولٌ مُعنًّى غَريمُها

---

1) رسائل الثعالبي: 71.

2) ديوانُ كثَيِّر: 143.

أخبريني ما ذلك الدَّيْن؟ قالت: وعدته قبلة فتحرجت منها، قالت أم البنين: أنجزيها وعليَّ إثمها[1] .

2. الرغبة عن اللفظ الخسيس والفاحش أو نفور النفس من القبيح والكناية عن العورة وما يتعلق بها من فعل، لأنَّ الإنسان جُبل على حب الجميل من كل شيء، والنفور من كل قبيح، ويصدق ذلك على كلمات اللغة، والإنسان بمنطق اتصافه بالحياء والحشمة، يميل إلى التعبير عن العورات وما دار في فلكها بالتعريض والإضمار والإشارة، دون التصريح، يحاول بذلك تغطية القبح والفحش، بل إنَّ الكناية في أصل وظيفتها جعلت لتحسين القبيح[2] ، فكانوا يقولون مثلاً عن انكشاف العورة "كشف علينا متاعه، وعورته وشوراه"[3]، ويقولون لولد الزنا ابن مطفئة السراج، وعن المرأة الفاسدة برقيقة الحافر، وعن مكان قضاء الحاجة بالمتوضأ والبستان، وبيت الخلاء. ومن ذلك قوله تعالى في سياق الحديث عن عيسى وأمه (عليهما السلام): ((كانا يأكلان الطعام))[4] فقد أشار المفسرون إلى أن أكل الطعام هنا كناية عن قضاء الحاجة. ويندرج تحت هذا السبب ما يسميه المحدثون (المحظور اللغوي) أو (المحرم اللغوي) أو (اللامساس) أو (التابو Tabou) ومقابله التحسين اللغوي[5] . والحق أنه لا يمكن أن ينظر إلى الكناية بوصفها مجرد هروب من اللغة، بل هي عملية أداة تشكيل للخطاب من داخل اللغة ذاتها، إذ إن الكناية لا تلغي الدلالة القبيحة، بل تؤجلها أو تعيد ترميزها، وبهذا المعنى فإن الكناية تُوظَّف ضمن منطق (الحضور/ الغياب) غياب مباشر للفظ الصريح، وحضور إيحائي للدلالة المقصودة. ومن هنا فإن هذا التوظيف للكناية لا ينعزل عن السياق المعجمي والتداولي، بل يرتبط ارتباطا وثيقاً بإنتاج الدلالة، وتشكيلها ضمن حدود الذوق العام.

3. تفادي أو تجنب آليات الرقابة الاجتماعية أو الدينية: وهي الكناية المتعلقة بالمحرمات كالزنا والخمر والعلاقات المحرمة. فالإنسان حينما تستهويه ملذات ومحرمات هو مقتنع بحرمتها، وقبل ذلك بشناعتها وضررها، ورفض الأسوياء لها، يحاول أن يغير من أسماء تلك الأعمال حتى تصبح مقبولة على مستوى التعبير ظناً منه أن ذلك يبيض من سوادها ويخفي بشاعتها، وهو يفعل ذلك حتى يتحايل على نفسه والتي تعيش صراعاً جرَّاء قناعة الفطرة التي ترفض ذلك وبين غلبة الهوى وضعف النفس الذي يدفعه إلى ذلك الخلق دفعا، ولذلك كنوا عن المعاشقة ومعاودة المواصلة بعد وقوع الفترة، وحدوث السلوة بتسخين الأرز، كما كتب بعضهم إلى عشيقة له[6] :

خلوتُ بذكركم إذ غابَ عنّي رقيبٌ كنتُ قدماً أتَّقيه
وبردتُ المقيل فدتك نفسي وتسخين الأرزِ يطيبُ فيه

---

1) عيون الاخبار، ابن قتيبة الدينوري: 92/1.
2) الكناية والتعريض: 163.
3) الحيوان، الجاحظ: 184/1.
4) سورة المائدة: الآية: 57.
5) ينظر في هذا الموضوع كتاب المحظور اللغوي والمحسن اللفظي، دراسة تأصيلية دلالية في القرآن الكريم، د. عصام الدين عبد السلام أبو زلال: 113.
6) الكناية والتعريض: 51.

"وإذا كان الرجل يقول بالغلمان دون النسوان قيل: فلان يؤثر صيد البر على صيد البحر، وفلان يقول بالظباء ولا يقول بالسمك، وفلان يحب الحملان ويبغض النعاج"[1]. وعليه لا تُسمى الخمر باسمها ولا الزنا، ولا الرشوة، إذ كانوا يكنون عن الرشوة بصب الزيت في القنديل"[2].

4. تجنب ودفع الوقوع في الحرج، أو عقدة النقص: تكون المعاريض والكناية سبيلاً إلى رفع الحرج الذي قد يقع فيه الإنسان في مقام اجتماعي ما، دون أن يضطره ذلك إلى الكذب أو فضح النفس، كما كان يفعل أهل الصنائع الذي كانوا يتحرجون من ذكر صنعتهم في مقام ما" سئل حجام عن صناعته فقال أنا أكتب بالحديد، وأختم بالزجاج"[3].

ومن شواهد تفادي الحرج ما أورده (ابن قتيبة) من أن حارثة بن بدر الغداني دخل على زياد وكان حارثة صاحب شراب وبوجهه أثر، فقال له زياد: ما هذا الأثر بوجهك، فقال حارثة: أصلح الله الأمير ركبت فرساً لي أشقر فحملني حتى صدم بي الحائط. فقال زياد: أما إنك لو ركبت الأشهب لم يصبك مكروه. عنى زياد اللبن، وعنى حارثة النبيذ"[4]. وكثيراً ما يتوسل بها، حفاظاً على ماء الوجه، وصونا لكرامة النفس، يروى أن أن عمر بن الخطاب سمع امرأة في الطواف تقول:

فمِنهُنَّ من تُسقى بعَذبٍ مُبرَّدٍ نُقـاخ فتلكمُ عند ذلك قَرَّتِ

ومنهنَّ من تُسقى بأخْضَرَ آجنٍ أجـاجٍ لولا خشيةُ اللهِ فَرَّتِ

ففهم ما تشكو منه، فأرسل إلى زوجها وإذا به متغير الفم، فخيَّره بين خمسمائة درهم أو جارية من الفيء شريطة أن يطلقها، فاختار خمسمائة، فأعطاه وطلقها"[5]. وقال نصيب لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين، كبرت سني ورق عظمي، وبليتُ ببنيات نفضتُ عليهن من لوني فكسدن علي. فرق له عمر ووصله"[6]، وقال المنصور لرجل: ما مالك؟ قال: ما يكف وجهي ويعجز عن بر الصديق، فقال: لقد تلطفت للسؤال، ووصله[7] . ووقفت عجوز على قيس بن سعد فقالت: أشكو إليك قلة الجرذان، قال: ما أحسن هذه الكناية، املؤوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً"[8]. نستشف من كل تلك النصوص أن الدلالة التي تنتجها الكناية لا تتمثل في وظيفة إلغاء الحرج، بل في التحكم بطريقة حضوره في النص، فهي تنتج دلالة مزدوجة: دلالة ظاهرية بريئة ومحايدة، وأخرى خفية ومقصودة تستنبط عبر التأويل والسياق.

---

1) الكناية والتعريض: 73.
2) المصدر نفسه: 155.
3) المصدر نفسه: 129.
4) عيون الاخبار: 201/5.
5) عيون الأخبار: 203.
6) عيون الأخبار: 126/8.
7) المصدر نفسه: 8/ 127.
8) عيون الإخبار: 129/8.

5. قد يُعزى لجوء الفرد أحيانا إلى الكناية والتعريض إلى دوافع تتصل بحب الدعابة والميل إلى المزاح، والرغبة في إضفاء طابع فكاهي أو ترفيهي على الخطاب، وهي طريقة راقية خاصة أن هذا النوع من الدعابة يحتاج إلى متلقٍ فطنٍ، يدرك أبعاد ما يقال له، وإلا كان التعريض والإشارة معه ضرباً من السخف، ومن نماذجه قول " خالد بن صفوان للفرزدق وكان يمازحه: ما أنت يا أبا فراس بالذي رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن قال، ولا أنت يا أبا صفوان بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها " يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين"[1]. وتقدم رجلان إلى شريح في خصومة فأقر أحدهما، بما يدعي الآخر وهو لا يعلم، فقضى عليه شريح فقال الرجل: أتقضي عليَّ بغير بَيِّنة؟ فقال: قد شهد عندي ثقة. قال ومن هو، قال: ابن أخت خالتك.

وكما كان لهذا القسم من الكناية أسبابه فله دلالاته وأبعاده، فكما ذكرنا أن الكناية والتعريض شكل إبداعي ينشئه المتكلم ليخدم به نفسه في مقام معين، وهذا الإبداع وهذا الإنشاء ليس بالشيء السهل، لأن صاحبه إن لم يوفق فيه ذم وعيب وانتقص، ومن ثم وجب عليه الحرص على ألا يأتي من هذا النوع من الكلام إلا بما يقع الموقع الحسن من المتلقي.

الخاتمة

- يتبين من خلال الدراسة أن الحذف والإضمار يمثلان آليتين مركزيتين في توليد الدلالة، لا من حيث الاقتصاد اللغوي فحسب، بل من حيث الإيحاء الدلالي وتعدد الطبقات التأويلية للنص.
- تُظهر المقاربة التحليلية أن التورية والكناية تتكاملان مع آليتي الحذف والإضمار في إنتاج دلالة غير مباشرة، تُبقي المعنى مفتوحًا على احتمالات متعددة، وتدفع القارئ إلى الانخراط في عملية تأويلية نشطة.
- إنَّ الحذف في ضوء التورية والكناية لا يغيّب المعنى، بل يؤدي إلى تكثيفه، حيث يُستثمر الصمت اللغوي بوصفه عنصرًا بلاغيًا يُثير الغموض ويُنمّي الأبعاد الرمزية للنص.
- إنَّ الإضمار بوصفه اختزالًا مرجعيًا لا يؤثر في وضوح النص، بل يوسّع في مجالات الإيحاء، لا سيما حين يتداخل مع تقنيات بلاغية كالتورية، ما يجعل المرجع غامضًا أو قابلًا للتأويل المتعدد.
- تكشف نتائج التحليل أن البنى اللغوية التي تتضمن حذفًا أو إضمارًا، إذا ما قُرئت في ضوء التورية والكناية، تنتج دلالات مركبة تتجاوز المستوى الظاهري للخطاب، وتدفع نحو تأويل أعمق للمعنى.
- تؤكد الدراسة أهمية تكامل الأدوات النحوية والبلاغية في تحليل النصوص، إذ إن فهم الآليات التركيبية وحده لا يكفي دون إدراك البعد الإيحائي الذي تُتيحه تقنيات الحذف والإضمار في سياقات تورية وكنائية.
- توصي الدراسة بتوسيع نطاق البحث في وظائف الحذف والإضمار ضمن أجناس أدبية متنوعة، والتركيز على التفاعل بين البنية النحوية والبعد البلاغي لإنتاج الدلالة في اللغة العربية.

مصادر البحث

1) المصدر نفسه: 316/3.

- ✓ الإبداع والضغط الايديولوجي لعبة التورية في تشكيل النص، د. اثير محمد شهاب، مجلة حروف، ع6، م8، 2010م.
- ✓ إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، بيروت_ لبنان، 2012م.
- ✓ الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت_ لبنان، ط3، 1989م.
- ✓ الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية (بحث)، ادريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج8، ع15، 2014م.
- ✓ ألفية ابن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك الاندلسي، المكتبة الشعبية، بيروت_ لبنان.
- ✓ البرهان في علوم القران، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، بيروت_ لبنان، 1957م.
- ✓ البنى الاسلوبية في النص الشعري دراسة تطبيقية، د. راشد بن حمد بن هاشل الحسيني، ط1، دار الحكمة، لندن، 2004م.
- ✓ البنيات الأسلوبية للكناية في شعر البهاء زهير (بحث)، علي كاظم علي، مجلة القادسية كلية التربية، م8، ع2، 2009.
- ✓ البيان في روائع القران دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني، د. تمام حسان، عالم الكتب، بيروت_ لبنان، 1992م.
- ✓ التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء محب الدين عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، بيروت_ لبنان، (د.ت).
- ✓ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت_ لبنان، ط1، 1401ه.
- ✓ تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، ط1، 2001م.
- ✓ تقدير الحذف والإضمار في ضوء نظرية العامل النحوي (بحث)، ملاوي صلاح الدين، مجلة المخبر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيدر، بسكرة، الجزائر، مج2، ع1، 2005م.
- ✓ تهذيب إصلاح المنطق، الخطيب التبريزي، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت_ لبنان، 1983م.
- ✓ الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، 1965م.
- ✓ الخاطريات، أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392ه)، تحقيق: سعيد محمد عبد الله القرني، (رسالة ماجستير) جامعة ام القرى_ كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية 1996م.
- ✓ خزانة الأدب وغاية الأرب، أبو بكر بن علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي (ت 837هـ)، تحقيق: د. كوكب دياب، دار صادر، بيروت_ لبنان، ط2، 2005م.
- ✓ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، (د. ط)، 2009م.
- ✓ الخطاب الإعلامي وتكتيك استعمال مفارقة التورية، أكرم فرج الربيعي، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2017م.
- ✓ دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: د. محمد التنجي، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، ط1، 1995م.

✓ ديوان أبي العلاء المعري المشهور بسقط الزند، تحقيق: شاكر شقير اللبناني، المطبعة الأدبية، بيروت _ لبنان، (د. ط)، 1884م.
✓ ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط3، دار المعارف بمصر، 2009م.
✓ ديوان كُثَيِّر عَزَّة، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت _ لبنان، 1971م، (د. ط).
✓ رسائل الثعالبي، أبو منصور الثعالبي، ط1، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1301هـ.
✓ السيرة النبوة، أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت 183ه)، دار الصحابة للتراث، ط1، طنطا، مصر، 1995م.
✓ صحيح البخاري، الإمام البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت _ لبنان، ط3، 1987م.
✓ عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت _ لبنان، ط1، 2003م.
✓ علم الدلالة، كلود جرمان، ريمون لوبلون، ترجمة: نور الهدى لوشن، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي_ ليبيا، ط1، 1997م.
✓ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الهلال، بيروت _لبنان، (د.ت).
✓ عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276ه)، تحقيق: منذر محمد سعيد أبو شعر، المكتب الإسلامي، بيروت _لبنان، ط1، 2008م.
✓ فصول في فقه اللغة العربية، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1994م.
✓ القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817ه)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت_ لبنان، ط8، 2005م.
✓ الكتاب، أبو بشر عمر بن عثمان المشهور بـ(سيبويه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت _لبنان، (د.ت).
✓ الكناية والتعريض، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (429ه)، تحقيق: عائشة حسين فريد، دار قباء للنشر، مصر، 1998م.
✓ لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت 71ه)، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1989م.
✓ المحظور اللغوي والمحسن اللفظي، دراسة تأصيلية دلالية في القرآن الكريم، د. عصام الدين عبد السلام أبو زلال، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2004م.
✓ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مطابع الدار الهندسية، القاهرة، ط3، 1985م.
✓ المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، ط2، بيروت _ لبنان، 2007م.
✓ مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان، 19887م.
✓ مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1979م.
✓ نتائج الفكر في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت 581هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت _لبنان، 1992م.

✓ النسق المضمر والسياق الشعري دراسة في ضوء النقد الثقافي، مريم عزوي، رسالة ماجستير، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة1، الجزائر، 2016م.
✓ النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، ط3، المملكة المغربية، 2005م.